

## ٢- الرواية العربية التكوين والصيرورة :

ولئن كنا إلى اليوم لا نملك تصوّرًا واضحًا لظروف مصطلح (الرواية) في الأدب العربي بمفهومه الشائع اليوم ، فإن من المرجّح أنّ هذا المصطلح قد انتقل إلى العمل القصصي بعد أن كان متعلقًا بعملية النقل ، ونقل الأخبار والأحاديث والأسماء والقصص والحكايات . وقد يكون هذا الانتقال تدعم بالاستعمال الشعبي الذي أطلق مصطلح (( رواية )) على السير والحكايات والقصص والأخبار التي كان الحكّاون الشعبيون يروونها دون إسناد مفتتحين سردهم بعبارة ( قال الراوي .... )<sup>(١)</sup> .

أما الموضوع الآخر الذي يجب مناقشته هو، هل الرواية جنس عربي متأصل في التراث العربي أم جنس غربي وافد على الثقافة العربية ؟ وبتتبع مواقف النقاد من مفهوم الرواية العربية نقف على ثلاثة نماذج من الآراء<sup>(٢)</sup> .

١- أصحاب الرأي الأول : " يُسلّم " بأصالة الرواية العربية ، ويعتبرها جنسًا أصيلًا في التراث العربي وليست جنسًا وافدًا من الغرب ، ويثبت هذه الأصالة الثقافية والتأريخية بتراث سردي زاخر في قصص الفروسية في الجاهلية وأخبار العرب والسير الشعبية البطولية . هذا التراث الحكائي الضخم يعتبره أصحاب هذا الاتجاه بمثابة أصول وجذور الرواية العربية مما يؤكد الاستمرارية والامتداد بينهما " <sup>(٣)</sup> .

ومن الذين يعارضون هذا الرأي الدكتورة سيزا قاسم في قولها " ومن التعسف القول أن الرواية العربية ولدت في القرن العشرين أو في نهاية القرن التاسع عشر من لا شيء إذ أنها نشأت في تربة عريقة في القص فما من شك في أن الأدب العربي عرف فن القص من قديم العصور من ملاحم وقصص شعبي ومقامات بل قد يكون قد أثر في تطور فن القص في الغرب حيث أشار مؤرخو الأدب الأسباني إلى إمكان تأثير فن المقامات العربية في مولد فن جديد من الأدب الأسباني المعروف باسم القصة البيكارسكية ( وهو تعبير يصعب ترجمته بدقة وإن كان أقرب ما يقابله بالعربية هو قصص الشطار )<sup>(٤)</sup> .

ثم تمضي الدكتورة سيزا قاسم في القول " فهل يمكن لهذا الفن الذي امتدّ أثره إلى آداب أجنبية ألا يكون له أثر في الرواية العربية ؟ بل ألم يكن من المتوقع لفن القص العربي

(١) معجم السرديات : ٢٠٦ .

(٢) تحليل النص السردى : ١٧ - ١٩ .

(٣) تحليل النص السردى : ١٨ .

(٤) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، د. سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٤ ، ٢٨ .

أن يتطور إلى صور حديثة وأشكال جديدة لو لم يتجمد تطوره مع جمود الاضمحلال للذين سادا المجتمعات العربية في جميع جوانبها<sup>(١)</sup>.

٢/ أصحاب الرأي الثاني " يعتبر الرواية جنساً غربياً انتقل إلى الثقافة العربية عن طريق الترجمة والنقل والتعريب ، بحيث تصبح نشأة الرواية العربية نتيجة للثقافة الأوروبية " ولكن بقي فوق هذا وذاك شيء غريب أسميه الإحساس الغريزي بروح الفن القصصي ونبضه ومزاجه ، لم يفز بهذا الإحساس بقدر كبير أو صغير إلا المتصلون بالثقافة الغربية اتصالاً وثيقاً ، وبقيت القصص التي كتبها غيرهم رغم استيفائها للمقومات كافة مفتقرة لهذا العطر الخفي الذي يجعل القصة فناً . وهذه الظاهرة ممتدة حتى أيامنا هذه ، فلا ضير أن نعترف أن القصة جاءتنا من الغرب ، وأن أول من أقام قواعدها عندنا أفراد تأثروا بالأدب الأوربي والأدب الفرنسي بصفة خاصة<sup>(٢)</sup>.

أما نشأة الرواية في الأدب العربي الحديث فيكاد يجمع الباحثون على ظهورها في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، وقد ولدت ونمت وترعرعت في ظل النهضة الأدبية الحديثة وما نجم عنها من بناء المدارس وظهور الطباعة والصحافة وانتشار جمهور القراء واطلاعهم على الآداب الغربية كل هذه العوامل أسهمت في نشأة الرواية العربية . وهذا ما أكده بعض الباحثين في قولهم " أن هذا النوع الأدبي لم يكن له وجود في الأدب العربي قبل اتصال العرب بالحضارة الغربية في القرن التاسع عشر سواء عن طريق السفر إلى أوربا ( خاصة فرنسا وإنجلترا ) في بعثات علمية ، أو عن طريق قراء المؤلفات الغربية في لغتها الأصلية ، أو عن طريق ترجمات ( للآثار الغربية )<sup>(٣)</sup> وهذا ما جعل ظهور أغلب النصوص الروائية في هذه المرحلة في بلاد الشام خاصة لبنان وسوريا بفضل مدارس الارساليات التبشيرية ودراسة ابنائهم في مدارس الغرب ، وكذلك في مصر التي أطلقت على الحضارة الغربية قبل غيرها بسبب الحملة الفرنسية وبفضل البعثات العلمية إلى أوربا. وظهرت ((المحاولات الأولى على يد رفاعه الطهطاوي وعلي مبارك وجرجي زيدان ونيقولا حدّاد وفرح أنطون الذين كتبوا نصوصاً توظف الشكل الروائي لأغراض تاريخية أو اجتماعية أو للتسلية"<sup>(٤)</sup> . ويرى بعض الباحثين أن البداية الأولى للرواية العربية الحديثة ابتدأت بقصص سليم البستاني ( ١٨٤٨ - ١٨٨٤ ) ولاسيما رواية "الهيّام في جنان الشام " وهي قصة غرامية" تدور على عاشقين يربط بينهما حب مثالي تكتنفه عقبات تفرق بينهما حيناً

(٣) بناء الرواية : ٢٨

(٤) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم : ١٩ .

(١) بناء الرواية : ٢٣ .

(٢) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم : ٢٠ .

وتجمع بينهما حيناً آخر " (١) . وقد نشر سليم البستاني فصول هذه الرواية في مجلة أبيه المعلم بطرس البستاني حيث كانت المجلة نصف شهرية تصدر كل اسبوعين " وقد بدأ هذا الباب في أول أعداد المجلة في بيروت في كانون الثاني ١٨٧٠م .... وجعل عنوان هذه الفصول: الهيام في جنان الشام ليكون عملاً روائياً قصصياً " (٢). وتوالى بعد ذلك ظهور الروايات وقد اقترنت في " بداياتها " الأولى في أواخر القرن التاسع عشر بوظيفة التسلية والفكاهة اتخذت لغاية التعليم والوعظ والإرشاد " (٣).

وتهدف الى ارضاء رغبات القراء وأذواقهم " وفي الوقت ذاته تخلو من الهدف الفكري كالتعبير عن موقف الكاتب تجاه أو تصوير مشاكل المجتمع والموضوع الغالب عليها الحب الذي يربط بين عاشقين تقوم بينهما العقبات وتنتهي بتذليل العقبات واجتماع الشمل " (٤).

ولكن النصوص التي تمثل البداية الفعلية للرواية والتي تستجيب لمقومات الشكل الروائي في مرحلة التأسيس تظل قليلة ، أهمها " حديث عيسى بن هشام " لمحمد المويلحي " والأجنحة المتكسرة " لجبران خليل جبران ، " وزينب " لمحمد حسين هيكل والأيام لطفه حسين ، لكنها لا تلغي المحاولات السابقة التي مهدت لها سبل الارتقاء و التطور. (٥)

## أنواع الرواية :

" يهدف هذا البحث إلى دراسة أنواع الرواية و التعرف على الأشكال الروائية بما يمكن القاريء من الإدراك الواعي لبنية النص الروائي وفهم خصائص شكله ، و يقترح "هينغل" تقسيماً لأنواع الرواية يتكون من أربعة أنماط روائية )) يبنى هذا التصنيف على معيار طبيعة المتخيل الذي تستلهمه الرواية في تشكيل عالمها الحكائي ، فالمتخيل في الرواية قد يكون اجتماعياً يستلهم صور الواقعي ، أو نفسياً يرتكز على الذات

(٣) الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره ؛ د. سالم أحمد الحمداني ، د. فائق مصطفى أحمد دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧٠ : ٣٤٤ .

(٤) في النقد التطبيقي مع روايات من العالم العربي ، د. عبد الرحمن ياغي جمعية عمال المطابع التعاونية ط، عمان الأردن ، ٢٠٠١ : ٩ .

(١) معجم السرديات : ٢٠٦ .

(٢) الأدب العربي دراسة في شعره ونثره : ٣٤٥ .

(٣) تحليل النص السردى : ٢١ .

وعوالمها الفردية ، أو رمزياً ينزاح عن الواقعي ويتخذ الحكاية رمزاً للتعبير عن أفكار مجردة .<sup>(١)</sup>

١- الرواية الاجتماعية : هي " الرواية التي تقدم شخوصاً يشبهون شخصيات الواقع المعيش في ظروف اجتماعية مختلفة ويسهل التعرف عليها " <sup>(٢)</sup> ويقدم الروائي في هذا الشكل " ملامح عالم يماثل العالم الذي تعيش فيه وتقديم شخصيات تشبه شخصيات البشر في الحياة المعيشية . ولذلك يطلق على الرواية الاجتماعية مفهوم الرواية الواقعية " <sup>(٣)</sup>.

وارتبطت الرواية الاجتماعية " بالمجتمع العربي الحديث وعكست مشكلاته وقضاياه ، وتناولت بالنقد ما فيه من سلبيات وعادات وتقاليده باليه . ودعت المجتمع إلى التمسك بقيم وممارسات حضارية جديدة . ولعل أهم المشكلات التي تناولتها مشكلة المرأة والحب ، فقد صورت نظرة المجتمع السلبية إلى هذه العاطفة الإنسانية ، ونقدتها وبينت مضارها ونتائجها الوخيمة . كما نجد ذلك في رواية جبران " الأجنحة المتكسرة " ورواية زينب " لمحمد حسن هيكل " كما تناولت هذه الروايات موضوع الفقر والغنى والفوارق الطبقيّة في المجتمع ومشكلات الريف وموضوع التخلف والقيم والعادات البالية وتفشي الأمية وقد تنوع أسلوب الروائيين في تناول هذه الموضوعات ، فمنهم من تناولها بأسلوب رومانسي مثل جبران خليل جبران والمنفلوطي ومحمد عبد الحليم عبد الله . ومن تناولها بالأسلوب الواقعي مثل نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمن الشرقاوي وذنون أيوب <sup>(٤)</sup>

٢- الرواية النفسية : إذ إن ( بؤرة الإهتمام في الرواية النفسية تنصب على التطور الفردي : الحركة الفكرية للفرد ، تبلور شخصيته ، الدوافع الداخلية المعقدة التي تبعث فيه الحيوية والنشاط . إن مصطلح " نفسي " لا يعني - بالطبع - أن الشخصية تحلل نفسياً أو كل شيء يقدم كما لو كان داخل وعي الشخصية ، ولكنه يعني على الأصح - أن الأسس المرتبطة في الرواية ، أو مناطق التركيز فيها هي الانعكاسات والتطورات التي تتجسد في شخصيته أو مجموعة من الشخصيات <sup>(٥)</sup> وتعنى جميع الروايات النفسية النفسية بالأحاسيس الفردية ، والبحث عن الدوافع النفسية الواعية واللاواعية التي تتحكم في سلوك الأفراد ، ومن ثمة يهيمن الزمن النفسي على تطور الأحداث <sup>(٦)</sup> إضافة إلى أن أن " غاية الرواية السيكلوجية أن تجعلنا ندرك كيف تشكل مشاعر الفرد واتجاهاته .

(٤) المصدر نفسه : ٢٤ .

(٥) قراءة الرواية ، روجرب هينكل ، ترجمة د. صلاح رزق، دار الآداب ط ١ ، ١٩٩٥م ٩٨ نقلاً عن تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم ، محمد بو عزة : ٢٤ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٤ .

(١) الأدب العربي الحديث دراسته في شعره ونثره : ٣٤٦ .

(٢) ينظر المصدر نفسه : ٣٤٦

(٣) قراءة الرواية / روجرب - هينكل : ٩٨ نقلاً من كتاب تحليل النص السردي : ٢٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٥ - ٢٦ .

نشاركه تجاربه الخاصة ، نفهم طبيعة العالم الخاص بسلوكه الشخصي المنفرد<sup>(١)</sup>. ومن هذه القصص التي تعنى بالتحليل النفسي وتصوير أغوار النفس الإنسانية ومن الأمثلة على ذلك " سيرة أديب " طه حسين ولا سيما في المرحلة الثانية من وجوده في باريس مدى التمزق النفسي الذي يعاني منه الأديب ، حيث يعرض تيار أفكاره من خلال مذكراته ورسائله إلى صديقه السارد ، يصف فيما تغير أطوار نفسه وفشله الدراسي و صراعه مع غرائزه النفسية المدمرة وما يعانيه من هلوسات مدمرة وكوابيس مرعبة ، وكيف انحدر من شخصية خيرة ذات كفاءة وطموح إلى شخصية منحطة يائسة انتهى الأمر إلى الجنون والإقامة في أحد المصحات النفسية والعقلية<sup>(٢)</sup> وكذلك تتمثل في رواية " سارة " لعباس محمود العقاد " وابراهيم الكاتب لأبراهيم المازني<sup>(٣)</sup>.

٣- الرواية الرمزية : " بخلاف النوعين السابقين لا تقدم الرواية الرمزية وصفاً تفصيلياً لمجتمع محدد ، ولا تصويراً نفسياً عميقاً لأحدى الشخصيات<sup>(٤)</sup>. " وإنما نجد - في الحقيقة - بناء اجتماعياً غير واقعي غالباً ، معزولاً ومبالغاً في تصوير شذوذه " <sup>(٥)</sup>.

إن السمة الأساسية للرواية الرمزية " أنها توظف الحكاية وتجعل منها إطاراً رمزياً للتعبير عن أفكار مجردة ، وتعتمد أسلوب التصوير المحرف البالغ فيه التشخيص الفكرة و الرمز حيث تصبح الرواية مجرد فكرة ينبغي أن تبحث عنها ، اي أن الشخصيات والحكاية ليست سوى رمز لفكرة ، قد تكون فكرة فلسفية وأحياناً متعلقة بالطبيعة البشرية" <sup>(٦)</sup>.

---

(٥) قراءة الرواية ، روجرب . هينكل : ١١٦ نقلاً من تحليل النص السردي : ٢٦ .

(١) المصدر نفسه : ٢٦.

(٢) الأدب العربي الحديث دراسته في شعره ونثره ٣٤٦.

(٣) تحليل النص السردي : ٢٦ .

(٤) قراءة الرواية ، روجرب . هينكل : ١٣٠ نقلاً من تحليل النص السردي : ٢٦ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٦.